

الحلقة السادسة

من كتابات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

ما هو رأيك مستمعي بصلب المخلص المسيح؟ أي أن المسيح قد مات على الصليب كفارة لخطية الجنس البشري. قد لا توافق على هذه الحقيقة، لاسيما أن البعض يقول أن المخلص المسيح لم يُصلب، لكنّ الله رفعه حياً إلى السماء؟ مع العلم أن كل الدلائل التاريخية تؤكد حقيقة موت المسيح وقيامته المجيدة.

هل تعلم مستمعي أن هناك أسباباً متنوعة أخرى يضعها البعض لكي يقللوا من حقيقة صلب المسيح أو لينكروا أهميتها؟ وهو ما أشار إليه الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل عندما كتب قائلاً: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ أَهْلِكَيْنِ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخْلِصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ... لِأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلَكِنَّا نَحْنُ نَكْرُزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةٌ، وَالْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةٌ! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوعِينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ. لِأَنَّ جَهَالََةَ اللَّهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعَفَ اللَّهُ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» (١ كورنثوس ١: ١٨، ٢٢-٢٥).

يبدو واضحاً أنه منذ عصر الكنيسة المسيحية الأولى كانت هناك فئتان بالنسبة لموضوع صلب المسيح: الفئة الأولى هم اليهود الذين اعتبروا صلب المسيح ضعفاً وإهانة، بينما كان المطلوب من المسيح بالنسبة إليهم أن يبديد الأعداء، ويؤسس ملكوتاً على الأرض يكون فيه هو الملك المتسلط. أما الفئة الثانية فهم اليونانيون الذين أشتهروا بالحكمة والفلسفة. فهم بالنسبة إليهم يُعتبر صلب المسيح جهالة، إذ ما الحكمة من وراء أن يموت إنسان نيابة عن البشر لكي يخلصهم؟ وهل خلاص البشر يأتي عبر الموت؟ سنناقش الآن هذا الموضوع ونتأمل بهذه الآيات المعبرة فابقوا معنا أعزائي.

مستمعي الكريم، بدأ الرسول بولس نقاشه حول أهمية حقيقة صلب المسيح بالقول: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّليبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخْلِصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ». إن البشارة برسالة الصليب أي أن المسيح مات من أجل خطايانا، تعتبر جهالة بالنسبة للناس الهالكين أي غير المؤمنين أو المخلصين. لكن بالنسبة لنا نحن المخلصين الذين آمنّا بهذه الحقيقة الهامة، فهي قوة الله. والسبب لأنه بالإيمان بصلب المسيح نيابة عنّا، تحررنا من عبودية الخطيئة، وغُفرت خطايانا، ونلنا الخلاص الأبدي. فهل توجد قوّة أكبر من هذه؟ أو حكمة أعظم منها؟

وتابع الرسول بولس شارحاً ماذا يقصد بهذا الكلام فكتب قائلاً: «لأنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلَكِنَّا نَحْنُ نَكْرَهُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةٌ، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةٌ!» إن اليهود يسألون آية أي عجيبة عظيمة يقوم بها المسيح، بينما أتى صلب المسيح لكي يشير إلى الضعف والإهانة. فهم يريدون مسيحاً قوياً، يحرر البلاد ويقهر الأعداء الرومان ويؤسس ملكوتاً على الأرض. وعندما أتى المسيح وذهب إلى الصليب، اعتبروه مسيحاً ضعيفاً، ولهذا كان عثرة بالنسبة لهم. إذ كيف يؤمنون بهذا المسيح الضعيف المُهان وهم ينتظرونه منقذاً ومحرراً.

أما بالنسبة لليونانيين أو الأمم غير اليهود فهم يطلبون حكمة، أي يريدون من المسيح أن يقدم لهم حكمة بشرية فائقة لكي يستطيعوا الإيمان به. لكنه عندما مات على الصليب اعتبروا الأمر جهالة ولا معنى أو فائدة له. فكيف يؤمنون بالمسيح المصلوب الذي هو جهالة بالنسبة لهم؟

لكن الرسول بولس أوضح قائلاً: «وَأَمَّا لِلْمَدْعُوعِينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ». إن المدعوين هنا هم الذين آمنوا بالمسيح الذي صُلب من أجل خطاياهم، من اليهود واليونانيين أي من جميع الأمم غير اليهود، فأصبح المسيح بالنسبة لهم قوّة الله وحكمته.

صديقي المستمع، علمنا أن هناك من لا يؤمن بحقيقة صلب المسيح، وأن البعض كما لاحظنا قلل من أهميتها وأنكر فاعليتها، ولهذا اعتبرها عثرة وجهالة. وهنا نود أن نلفت الانتباه إلى حقيقة هامة. وهي أن الشيطان وحده هو الذي حاول منع المسيح من الذهاب إلى الصليب. فعندما أخبر المسيح مرة تلاميذه «أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنْ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ

وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ. انتهره الرسول بطرس قائلاً: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا!» فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبَطْرُسَ: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْتَرَةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ» (بشارة متى ١٦: ٢١-٢٣).

إذاً إن الادعاء أن المسيح لم يذهب إلى الصليب، هو خدعة بدأها الشيطان لكي يضل الناس ويبعدهم عن هذه الحقيقة الهامة. مع العلم أن كل الوثائق والأدلة التاريخية تؤكد أن المسيح قد مات فعلاً على الصليب ثم قام من بين الأموات حياً، وصعد إلى السماء حيث أصبح رباً وملاًكاً.

لعلّ السؤال الذي يجب علينا طرحه الآن هو: لماذا كان يجب على المخلص المسيح أن يُصلب؟ وللجواب نقول: بعد أن عصى أبوانا الأولان الله، وسقطا في الخطيئة، دبر الله المحب خطة لإنقاذ الإنسان، وهذه الخطة اقتضت أن يرسل الله كلمته الأزلي، المخلص المسيح لكي يموت نيابة عن الجنس البشري.

إذاً إن ذهاب المسيح إلى الصليب لم يكن هكذا صدفة، بل كان نتيجة لخطة الله الأزلية. إن الله العادل لا بد له أن يدين الخطاة، لكن الله هو إله المحبة أيضاً لهذا أرسل المسيح لكي يموت على الصليب آخذاً عقاب خطايانا. وعندما يؤمن أي إنسان بفداء المسيح له، ينال الغفران عن خطاياه، ويتحرر من عبوديتها.

أجل، لقد ظهرت بموت المسيح على الصليب، حكمة الله المدهشة، وقوته العجيبة، إذ بهذه الحكمة يخلص الله الإنسان، ويغير حياته بقوة الروح القدس. لهذا لم يكن غريباً أن يؤكد الرسول بولس في الختام: «أَنَّ جَهَالََةَ اللَّهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللَّهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» فهل تراك تؤمن مستمعي بهذا المخلص الفريد الذي مات فعلاً من أجلك على الصليب؟